ثمن عشرين قتيلاً

طبيب "أوريليو اسكوفار "و كالطير فتح ..بزغ يوم الاثنين دافئاً و بلا مطر
ثم ..عيادته في الساعة السادسة ,الأسنان غير المؤهل و المبكر في يقظته
أخرج بعض أسنان صناعية مازالت مركبة في قالب المصيص من الدولاب
كما لو ..و وضع على المنضدة مجموعة أدوات رتبها حسب الحجم ,الزجاجي
أقفل حول الرقبة بمشبك ,و كان يلبس قميصاً مخططاً بلا ياقة ..كانت للعرض
لا تبدو ,و كان مستقيم العود نحيل الجسم ..و بنطلوناً معلقاً بحمالة ,ذهبي
..و كانت هيأته أقرب إلى هيئة رجل أصم ,عليه مسحة المهنة

و لما فرغ من ترتيب الأدوات فوق المنضدة جذب المثقب إلى قرب كرسي
لقد بدا أنه لا يفكر في العملية التي ..الأسنان و جلس لصقل الأسنان الصناعية
حتى و هو لا ,بيد أنه راح يواصل العمل و هو ينفخ كور الثقب بقدميه ,يقوم بها
.يحتاج إلى ذلك

,و عندما بلغت الساعة الثامنة توقف برهة لكي ينظر من النافذة إلى السماء
فرأى طائرين من الجوارح يجففان نفسيهما في الشمس على إفريز سطح
و ما لبث أن استأنف عمله متوقعاً أن يعود المطر إلى الانهمار ..البيت المجاور
إلى أن قطع عليه تركيزه صوت ابنه الحاد البالغ من العمر ..قبل موعد الغداء
:و لدى سؤاله قال له ..احدى عشرة سنة يناديه
- ..العمدة يريد أن يعرف إذا كان يمكن أن تخلع سنه
- قل له انني غير موجود
ثم امسك بها على قيد ذراع و فحصها بعينين نصف ..و أخذ يصقل سناً مذهبة
:و عندئذ انبعث صوت ابنه صائحاً من غرفة الانتظار الصغيرة ..مقفلتين
- ..!لأنه يسمع صوتك ,العمدة يقول أنك موجود

و لم يرد إلا بعد أن وضعها فوق المنضدة بجانب ..استمر الطبيب يفحص السن
:إذ قال ,ما تمَّ إنجازه من الأسنان
- ..الأحسن أن يسمع
من خزانة بها الأشياء "كوبري "ثم أخرج عدة قطع من ..و أدار الثقب من جديد
فسأله ..و لكن ابنه ناداه مرة أخرى ..و أخذ يصقل الذهب ,التي عليه أن يتمها
:فقال الصبي ,ماذا يريد دون أن تتغير ملامح وجهه
- ..!فسوف يضربك بالرصاص ,قال العمدة إنك إذا لم تخلع له السن
و دفعه على ,توقف عن تحريك الثقب ,و بحركة جد هادئة ,و بدون ما أدنى تعجل
و قال ..فإذا به مسدس ,ثم جذب الدرج الأسفل للمنضدة عن آخره ,الكرسي
:لإبنه
- ..قل له أن يدخل و يقتلني ..حسن

و ظهر العمدة في المدخل و قد بدا خده ..و دحرج الكرسي في مواجهة الباب
نبتت فيه لحية عمرها خمسة ,أما الخد الثاني فكان مورماً موجعاً ,الأيسر حليقاً
فقد شهد العمدة ليالي كثيرة من العذاب و المعاناة بدت آثارها في عينيه ,أيام
المتبلدتين..

..اجلس :و قال بليونة ,أغلق الطبيب الدرج بأنامله
..صباح الخير :فقال العمدة
فرد الطبيب بنصف السلام

مال العمدة برأسه على المسند حتى شعر ,و بينما كانت أدوات الخلع تغلي
و ,و المثقب ,بها كرسي خشبي عتيق :و كانت العيادة متواضعة ..بتحسن
..و أمام النافذة ستار لا يعلو عن ارتفاع الكتف ..دولاب زجاجي به قناني خزفية
..شد على عقبيه و فتح فمه ,و عندما شعر العمدة باقتراب الطبيب

و بعد أن ..أن أدار رأس العمدة إلى ناحية الضوء "أوريليو اسكوفار "و ما لبث
و قال ..فحص السن المصابة أقفل فك العمدة بضغطة محاذرة من أصابعه:
- ..لابد من الخلع بغير مخدر
- ..و لماذا ؟
- ..لوجود خراج
...لا بأس :ثم قال ,فنظر العمدة مواجهة
بل جاء بإناء الأدوات ..قالها محاولاً أن يبتسم فلم يرد الطبيب على الابتسامة
..المعقمة إلى المنضدة و أخرجها من الماء بملقط بارد

ثم دفع المبصقة بطرف حذائه و انتقل ..كلّ ذلك دون أن يتعجل في حركاته
غير أن ..لقد فعل هذا كله دون أن ينظر على العمدة ..لغسل يديه في الحوض
..العمدة لم يرفع نظره عنه لحظة

و ما لبث الطبيب أن وسع قدميه و ..السفلي "ضرس العقل "كان المعطوب
فتشبث العمدة بذراعي الكرسي ة شد ..الساخن "بالجفت "أمسك الضرس
بيد أنه لم يحدث أي ,على قدميه بكل قوته و هو يشعر بخواء بادر في كليته
بل برفق ,و دون ما ضغينة ..و لم يكن يتحرك من الطبيب سوى معصمه ..صوت
قال للعمدة ,تشوبه المرارة:
- ..!الآن سوف تدفع ثمن قتلانا العشرين

بيد أنه لم ..و امتلأت عيناه بالدموع ,شعر العمدة بقصف كقصف العظام في فكه
و قد بدا غريباً ..ثم رآه من خلال الدموع ..يتنفس إلى أن شعر بخروج الضرس
جداً عن الآلام التي كابدها إلى حد أنه عجز عن فهم هذا العذاب الذي تجرعه
..مدى الأيام الخمسة الفائتة

فك أزرار كسوته الرسمية و مد يده ,و بينما انحنى فوق المبصقة عارقاً لاهثاً
فأعطاه الطبيب قطعة قماش نظيفة قائلاً ..إلى جيب بنطلونه يلتمس منديله:
- ..!امسح دموعك

كان هو يتطلع إلى ,كان يرتعد و بينما أخذ الطبيب يغسل يديه ..فعل العمدة هذا
و ما لبث الطبيب أن ..السقف المتآكل الذي يتدلى منه عنكبوت و حشرات ميتة
و قال له ..عاد و هو يمسح يديه:
- ..بماء مالح "غرغر "و ..اذهب إلى فراشك

و ,ثم اتجه إلى الباب باسطاً ساقيه ,و سلم بتحية عسكرية فاترة ,فقام العمدة
..دون أن يزرر سترته

..إبعث الفاتورة :و عند الباب قال
- ..أو لمكتب الحكومة ؟ ,لك

..!لعنة الله ,هذا و ذاك سيان :بل قال و هو يغلق الباب ,لم ينظر إليه العمدة